المشرق

البابا اكليمنضوس الرابع عشر

والغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة

نظر تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

قامت قيامة اصحاب حرِّيَّة الضمير في هذه الأيام بعد ان شجب غبطة البطريرك مار الياس الحويك بطريرك الطائفة المارونيَّة وكافَّة المشرق شيعتهم بسيف الحرم الكنسيّ لئلَّا تبقى كما يقول الرسول (٢ كور ٦ : ١٤) «شركة بين البرّ والاثم ومخالطة النور مع الظلمة وائتلاف المسيح مع بليعال وحظّ للمؤمن مع الكافر». فكان لهذه الضربة اللازبة اسوأ وقع في قلوب انصار الماسونيَّة وناربت ثائرتهم ورفعوا عقيرتهم ظنًّا منهم أنَّ تلك الجلبة تقوى على إفحام صوت الحقّ . فكانت نتيجة هيجانهم على عكس ما أمَّلوهُ

واذ عرفوا عجزهم من هذا القبيل طلبوا لهم فرجاً من ذاك الخناق فلم يجدوا الَّا ان يتحرَّشوا بالرهبانيَّة اليسوعيَّة ليحوِّلوا نقطة الجدال عن مركزها شأن كلّ مغلوب . فاخذ فارسهم في جريدته الحرِّيَّة يهرف بما لا يعرف فنسب الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة مآثم لا وجود لها الَّا في دماغه الماسونيّ بيَّنت لهُ جريدة البشير كذبهُ الفاحش في كلّ منها . والعجب العُجاب انهُ لا يخجل مع فضوح امره من ان يردّد أبن البشير اقرَّ مسلَّماً بما ابتدعهُ من الاكاذيب والتلفيقات الشائنة

بيد أنَّ بين مخترعاته امرًا واحدًا يتَّخذهُ اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة كسلاحهم

القاتل وسيفهم البتّار لا يستطيع اليسوعيّ على زعمهم اذا شهروهُ الّا ان يرضخ لحكمهم صاغرًا خجلًا ألا وهو إلغاء الحبر الاعظم اكليمنضوس الرابع عشر لطغمة يسوع سنة ١٧٧٣ فهذا على رأي الماروني الماسوني وذويهِ في الحرية ثوبٌ يجلب اليسوعيّ عارًا ومن ثمّ لا يزالون يطبّلون بهِ ويزمّرون وسترى « ان طبلهم مفخوت وزمّارتهم مبحوحة »

ومن غريب الامور انّ احد مكاتبيهم في حلب ارسل اليهم تلك البراءة معرّبةً وجد منها نسخةً مخطوطة في الشهباء فظنّ صاحب الحرّيّة بنقلها في جريدته انهُ اصاب الهدف وان جهيزة قطعت قول كلّ خطيب. ولو كان التويني او احد مناصريهِ شاء ان يوفّر عليهِ تعب التفتيش وقصد كليّتنا لأطلعناهُ على تلك البراءة لا معرّبةً تعريباً ركيكاً لكن في اصلها اللاتيني المطبوع في كلّ تواريخ رهبانتنا فضلًا عن الترجمة العربيّة التي لا تخلو منها مكتبتنا الشرقيّة فيعلم بذلك انّنا لا نخجل البتّة من تلك البراءة التي لا توهّنا مطلقاً وانّما تُحقّق في رهبانيّة يسوع ما قيل عن سمعان الشيخ (لوقا ٢ : ٣٤) « انّ هذا قد جُعل هدفاً للمخالفة »

الرهبانيّة اليسوعيّة قبل براءة البابا اكليمنضوس الرابع عشر

كلّ يعلم انّ رهبانيّة يسوع أُنشئت في اواسط القرن السادس عشر في وقت كان الكرسيّ الرسوليّ يهتمّ باصلاح الجمعيّات الرهبانيّة وبالغاء بعضها وهو مع حاشيتهِ من الكرادلة مصمّمو النيّة على ان يرفضوا تثبيت كلّ رهبانيّة جديدة. لكنّ البابا بولس الثالث بعد ان وقف على رسوم القديس اغناطيوس دي لويولا مؤسّس الرهبانيّة اليسوعيّة لم يتمالك من ان يصرخ : « انّ هاهنا اصبع الله » وهكذا حكم مثلهُ لفيف الكرادلة فاثبت الرهبانيّة وقوانينها سنة ١٥٤٠ بمنشور خاصّ اوّلهُ : Regimini militantis Ecclesiæ دون ان يغيّر حرفاً في الرسوم المذكورة. وكان وقتئذٍ المجمع المسكوني الترينتيني معقودًا اجتمع فيهِ نخبة ارباب الدين من كلّ الدول الاوربيّة فاثنى آباؤهُ ثناء عاطرًا على الرهبانيّة الجديدة ومآثرها الجليلة

ثمّ عاد بولس الثالث في اربعة مناشير أخرى فقرّر حكمهُ الاوّل وخوّل رهبانيّة

يسوع نعماً واسعة جزاء لما رآهُ وسمعهُ من اعمال اعضائها في كل الدول الاوربية . وسار على مثالهِ خلفاؤهُ يوليوس الثالث وبيوس الرابع وبيوس الخامس وخصوصاً غريغوريوس الثالث عشر وكانت الرهبانيَّة في تلك الحقبة أتت في فلاحة كرم الربّ من المآثر الخطيرة ما لا تحصرهُ المجلَّدات الضخمة الَّا أنَّها هيَّجت على الرهبانيَّة نقم اعداء الكنيسة ولاسيَّما البروتستانت الذين وجدوا في ابنائها سدًّا متيناً صدَّهم عن مناهضة بيعة الله ونَشر بدعتهم كما أنَّ تلك النعم الرسوليَّة أثارت في قلوب بعض اعدائها روح الحسد والمنافسة

ولم تكفَّ مواهب الاحبار الرومانيين لابناء القديس اغناطيوس بالسابق ذكرهم بل توالت عليهم دون انقطاع في مدَّة القرن السابع عشر والثامن عشر كما يشهد عليهِ مجموع المناشير والبراءات البابويَّة الذي في يدنا والذي يبلغ عدد صفحاتهِ الى براءة اكليمنضوس الرابع عشر ٣١٢ صفحة من القطع الكبير وهناك ٩٥ منشورًا تباعاً لجميع البابوات يثنون فيها على الرهبانيَّة اليسوعيَّة وقوانينها واعمالها في كلّ اقطار المعمور

وكان اذا وقع شيء من الخلاف بينهم وبين سواهم تُرفع الدعاوى الى الكرسيّ الرسولي فتنتهي بتاتاً عند حكمهِ لطغمة يسوع او عليها فيكرّر اليسوعيُّون الكلمة التي قالها القديس اغوسطينوس : قد حكمت رومية فانتهت كلّ دعوى (Roma locuta est, causa finita est) وربَّما حصل بعض الخلاف بينهم وبين ارباب الدول الذين كانوا يطمعون في اخضاع اليسوعيين لسياستهم خلافاً لقوانينهم فكان الحبر الروماني يعضدهم ويردّ معهم تلك المطامع الباطلة

ومما لا يُنكر انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في مدَّة حياتها الطويلة البالغة ٢٣٣ سنة قبل الغائها لم تأتِ شيئاً يمسُّ شرفها او يبخس شأنها في وجه الكنيسة فلم يرَ الاحبار الرومانيُّون مسوغاً لإصلاح شيءٍ من قوانينها او رسومها

وكان آخر بابا جلس على كرسيّ هامة الرسل اكليمنضوس الثالث عشر (١٧٥٨—١٧٦٩) من اشهر اهل زمانهِ براً وتُقىً وتفانياً في صوالح الكنيسة . ففي عهدهِ ضمَّ اعداء الدين في سائر انحاء اوربَّة قواهم لتذليل الكثلكة وتعزيز الكفر . واذ شعروا بان الرهبانيَّة اليسوعيَّة بمواعظها وارشاداتها وتآليفها ومدارسها هي العائقة

الكبرى لتنفيذ مآربهم تحاملوا عليها بدسائسهم واكاذيبهم المعتادة وحملوا الملوك على نفي ابنائها وكرروا الحملات المتوالية عليها لدى الكرسي الرسولي لكي يلغيها فقام اكليمنضوس الثالث عشر يتصدى لغاراتهم وينتصر للمظلومين وقد كتب في ٧ كانون الثاني سنة ١٧٦٥ ذاك المنشور الشهير الذي بدؤه Apostolicum pas-) (cendi والذي سيبقى في سجلات الكنيسة كأشرف أثر واطرإ مديح للرهبانية اليسوعية واعمالها وادمى جرح في قلب الكفر وزعمائه يفند فيه كل افتراءات اعداء طغمة يسوع. وكنا وجدنا نسخة عربية من هذا المنشور في مكتبة دير الشير لحضرة آباء الرهبانية الباسيلية الحلبية فنشرناها بحرفها الواحد في مجلة المشرق (١٧[١٩١٤]: ٥٨٩–٥٩٣) وندفع الترسون الى مطالعتها ليقابلوها ببراءة اكليمنضوس الرابع عشر ويحكموا فيهما حكماً منصفاً ولم يتوسطبين تاريخ البراءتين الا سبع سنوات

ولدينا ايضاً الرسالة التي كتبها القديس الفونس ليغوري رافع منار النصرانية في عهده الى البابا اكليمنضوس الثالث عشر يهنيه ويشكره على تلك الرسالة التي دافع بها عن الرهبانية اليسوعية وردّ عنها تهم اعدائها وقدّس كلّ اعمالها ومشروعاتها

سوابق البابا اكليمنضوس الرابع عشر واوّثاره

قلنا ان الشرّ كان متفاقماً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو عصر الفلاسفة الكذبة وعصر فولتير وروسّو اللذين وصفهما السيد جمال الدين الافغاني في كتابه عن مذهب الدهريين بذاك الكلام المسجدي الذي وسم به كفرهما بسمة من العار لن تمحى مدى الدهر. ولاسيما عصر الماسونية العمومية التي تناصرت وتشتّرت وحلفت بأنها ستدكّ اساس الكنيسة فلا تبقي منها حجراً على حجر

فلمّا توفي اكليمنضوس الثالث عشر ظنّت العشيرة انها ستبطل كلام المسيح القائل بانّ ابواب الجحيم لن تقوى على الصخرة البطرسية فاراد الله ان يظهر بأجلى بيان ان كنيسته اعلى مقاماً من ان يقتنها كفرهم او يصيبها سهمهم حتى ولو تزعزعت انهارت اكبر انصارها

وكان في ذلك العهد ملوك البوربون يتملكون على دول اوربة في فرنسة واسبانية وايطالية دون البورتغال لكنّ تدبير امورهم في ايدي وزراء كلهم مشايعون للماسونية

سرًّا يسعون في تقويض عروشهم لينصبوا فوقها رايات الكفر والالحاد. ومَن راجع تواريخهم في كتب المؤرخين الصادقين عرفَ من هم پومبال (Pombal) وشوازول (Choiseul) ودارندا (d'Aranda) وتانوتشي (Tanucci) فضلًا عن پومبادور (M^me de Pombadour) عشيقة ملك فرنسة وعدوَّة اليسوعيين الذين هتكوا سترها

وكان للملوك وقتئذٍ في انتخاب الاحبار الرومانيين حقوق منحها البابوات اسلافهم لخدم سابقة ادَّوها للكنيسة. فكان اوَّل ما اجمعوا الرأي ان يحرموا عددًا من الكرادلة لا يرونهم موافقين لسياستهم ولاسيما لتضحية الرهبانيَّة اليسوعيَّة عماد الدين حيثما حلَّت. فحصروا الانتخاب في ١٢ كرديناً لا فقط وكان عدد المنتخبين ٤٧. وبين هؤلاء الاثني عشر لم يكن الَّا ثلثة او اربعة يمكن تقليدهم الرئاسة على الكنيسة جمعاء. وكان الملوك يريدون انَّ البابا المنتخَب يَعِد سلفاً بانهُ سيلغي الرهبانيَّة اليسوعيَّة (١. فكانت هذه المطالب عثرةً في سبيل الكرادلة وتفرَّقت كلمتهم واحتجَّ كثيرون منهم بان اصحاب الاصوات ليسوا بحاصلين على الحرِّيَّة الكافية للانتخاب وبقي الامر دون وقوع اختيارهم على احد ثلاثة اشهر ونصف وتكفي بهِ دليلًا على حَرَج حالة الكرادلة الى ان وقع الاتفاق على احدهم لظنِّ الفرق كلِّها انهُ رجل معتدل يرضي الدول بلطفهِ دون ان يُلحق بالكنيسة ضررًا وهو الكردينال لورنزو غانغانلّي الذي تمَّ انتخابهُ في ١٨ أيار سنة ١٧٦٩ فدُعي باكليمنضوس الرابع عشر وكان سفراء الدول طلبوا اليهِ قبل الانتخاب ان يعد بالغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة فلم يتقيَّد بوعد الَّا انهُ صرَّح بسلطة الحبر الروماني على ان يأتي بامر مثل ذلك لو شاء. وهذا ممَّا لا ينكرهُ احد لكنَّ الملوك اعتبروا ذلك كموافقتهِ لرأيهم

من هو اكليمنضوس الرابع عشر — سيرتهُ

هو يوحنا ڤنسان انطون غنغانلّي المولود في غاية تشرين الاوَّل سنة ١٧٠٥ في

---

١) راجع تاريخ تينر (Theiner) ج ١ ص ١٩٨ وكتاب الاب دي رافينيان (de Ravignan: *Clément XIII et Clément XIV*) ج ١ : ٣٥٧ وكتاب كرتينو جولي Crétineau-Joly: *Clément XIV et les Jésuites*

قرية قريبة من ريميني حيث كان ابوهُ طبيباً فسلَّمهُ الى الآباء اليسوعيين ليتخرَّج في مدرستهم في تلك المدينة ثمَّ انتقل الشابّ الى مدينة اوربينو ولم يلبث ان طلب التَّرهّب في دير الآباء الفرنسيسيين في اواسط أيار سنة ١٧٢٤ فعُرف باسم لوران او لورنسيوس. وكان في رهبانيَّته مثال الورع والاجتهاد حتى انهُ برع في العلوم الدينيَّة وانتدبهُ رؤساؤهُ الى تعليم اللاهوت في عدَّة اديرة وكان يحبُّ العيشة المعتزلة وأبى مرَّتين رئاسة رهبانيَّته العموميَّة في السنتين ١٧٥٣ و ١٧٥٩

فشاع فضلهُ وبلغ صيتهُ مسامع الحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر فاراد ان ينصبهُ كردينالاً واذ استشار في امره الاب لوران رئتي رئيس الرهبانيَّة اليسوعي العامّ في رومية اثنى عليهِ الاب وصرَّح بتعلُّقهِ بالجمعيَّة اليسوعيَّة وهو احد تلامذتها(١ فخوَّلهُ البابا ذاك المنصب الجليل في ٢٤ ايلول سنة ١٧٥٩ وقال عنهُ «انهُ يسوعيّ بالروح وان لم يكن يسوعيًّا بالثوب (٢». لكنَّ امام الاحبار لحظ بعد ذلك انَّ الكردينال الجديد لا يوافقهُ في سياستهِ الخارجيَّة بازاء الدول فلم يقرّبهُ كثيرًا الى شخصهِ. فبقي خاملاً قليل النفوذ في ادارة الامور مدَّة حياة البابا المذكور

فلمَّا استلم ازمَّة الرئاسة البابويَّة لم يشأ ان يغيّر شيئاً من بساطة عيشهِ وسذاجتهِ الرهبانيَّة فكان لطيف الجانب دمث الاخلاق ليّن العريكة معتدل السيرة في تدبير الامور فلو تُرك لشأنهِ لَعُدَّ من افضل احبار الكنيسة. ولم يُظهر في معاملاتهِ للرهبانيَّة اليسوعيَّة شيئاً مما كان ينتظرهُ اعداؤها بل منح مرسليها بعد ثلثة اشهر من تنصيبهِ في ١٢ تموز ١٧٦٩ غفارين ونعماً روحيَّة لسبع سنوات ما يدلُّ على انهُ لم يفكّر في أذاها بل كان يجلّها ويعتبرها . وقد افتتح منشورهُ ذلك بما تعريبهُ: «انّا نجود بل الرضى بكنوز الخيرات السماويَّة على الذين نعهدهم مهتمين غاية الاهتمام بخلاص الانفس وباضرام المحبة نحو الله والقريب ويقاسون المشقَّات حبًّا بخير الدين وحيث

١) اطلب تاريخ كُردارا (Cordara: *Mémoires, p.* 33)

٢) ومما يخبر عنهُ في زمن تلميذه اللاهوت في رومية انهُ دُعي الى مفاتحة الاكليريكم القديس اغناطيوس منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ديرهم الكبير فقام يخطب في مديح ابناء القديس مثنيًا على علمائهم في كلّ الفنون وسائر العلوم . ومما قالهُ مخاطبًا اصحاب الدعوة : «كيفما حوَّلت انظاري والى اي فرع من العلوم التفتُّ لاقف على مكنوناتهِ فاني ارى آباء جمعيتكم قد نالوا فيهِ الشهرة والسبق»

انا نشمل بين هؤلاء الفعلة الغير الذين يفلحون في كرم الربّ رهبان الطغمة اليسوعيّة قائلا نريد حقيقةً ان تثمر تقوى هؤلاء الرهبان العظيمة وتزداد بواسطة المواهب الروحانيّة »

لكنّ هذه السياسة الداخليّة لم تكن لترضي الدول البوربونيّة واشياعَ المالونيّة فتألّبوا على قداسته تارةً بالوعد بان يردُّوا للكرسيّ الرسوليّ ما سلبوهُ من املاكه وتارةً بالوعيد بان يقطعوا الصلات مع رئيس الكنيسة الكاثوليكيّة فكان سفراء الملوك يتردّدون عليه في كلّ حين ليقنعوهُ بالغاء رهبانيّة القديس اغناطيوس فيردُّهم الحبر الاعظم حيناً باللطف والمجاملة وحيناً بالتأجيل والتسويف وثبت على خطّته هذه سنتين كاملتين لا يُقدم على امر ولا يبتّ عهداً بينما كان كادلة الدول وسفراؤها يضايقونهُ ويحرجونهُ حتى اثّرت معاملتهم في صحته فظنّ انهُ اذا برَّد الرهبانيّة اليسوعيّة عن بعض امتيازاتها وعاملها بالعُنف والشدّة يكتفي الملوك بذلك فعزل اليسوعيين عن تدبير المدرسة اليونانيّة ثمّ اقفل بعض مدارسهم وانتزع من يدهم مكتب الايرلنديين وامر بمحاكمتهم بخصوص ماليّة بعض اديرتهم وحكم بتغريق شمل مبتدئيهم ومنع كهنتهم من الوعظ في كنائس رومية

فكانت كلّ هذه التصرُّفات العنيفة تزيد في طمع الدول بادراك غايتهم بدلاً من ان تُخمد لظى بغضهم فيستنتجون منها انهم بمضاعفة هجومهم سينالون ما يشتهون. فشدّدوا الاوامر على سفرائهم وأغروهم بنائب المسيح كيلا يدعوا لهُ راحةً الى ان يفوزوا بمبتغاهم. وقد بلغت قحة سفير اسبانية مونينيو الى ان خاطب الحبر الاعظم بكل جفاء وعنف فاجابهُ البابا بهذه الكلمة الدالّة على ما كان يتوقعهُ من الشرور بالغاء الرهبانيّة اليسوعيّة: « انكم لا تطلبون الغاء اليسوعيين الّا لتستعبدوا الكنيسة من بعدهم »

ومرّت على اكليمنضوس الرابع عشر السنة الثالثة من حبريّته وهو يناضل ويدافع رجاء ان تنقلب الاحوال على الكرسيّ الرسولي او على الدول فينجو من تلك الضائقة ويُرخي خناقهُ الّا انّ الملوك ووزراءهم رأوا من شرفهم ان يفوزوا في تلك المنازعات بشيخ الباباويكان مدّعين انّ لا سلام للممالك الّا بتلاشي الرهبانيّة اليسوعيّة ومن ثمّ تهدّدوهُ بقطع العلاقات مع الكرسيّ الرسولي فكتب شوازول

باسم ملك فرنسة لسفيره في رومية يفسح للبابا بشهرين ليقضي على اليسوعيين ، لانهُ اذا فات هذا الاجل لا يعود ممكناً ان يُصَدّ ملوك بوربون عن قطع كلّ علاقة مع حبر الكنيسة» ومثلهُ فعل مفوّض ملك اسبانية فلوريدا بلنكا . وفي تلك الاثناء كتب دالمبار زعيم الملحدين كفولتير وروسو الى فردريك الثاني ملك بروسية : « انّ البابا الفرنسيسي يظهر صعوبة كلّية في امر الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة ولا عجب في ذلك لانّ مثلّ الذين يطلبون الى البابا اعدام هؤلاء الجند البواسل مَثَلُ من يطلب الى جلالتك ان تصرف فرقة حرسك الملكي »

الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة

على انّ هذه الاحاجات المتواصلة والتهديدات الجديدة اضعفت عزيمة الاب الاقدس فرأى الكنيسة بين شرّين لا بُدّ لهُ من اختيار احدهما فتفضّل تضحية الرهبانيّة اليسوعيّة على قطع العلاقات الدوليّة مع الكرسيّ الرسولي لاسيما وقد رأى ملكة النمسة ماري تريزا بعد دفاعها عن اليسوعيين اضطرّت الى مواقفة ملوك بوربون فاخذ يبحث عن الطريقة ليقضي بهذا الامر دون ان يهيج الكثلكة . كيف لا وكان لليسوعيين في ذاك الوقت من الاعتبار وعظم الشأن ما تشهد عليهِ تواريخ كلّ البلاد

ففي اوائل السنة ١٧٧٣ وهي الرابعة لاكليمنضوس الرابع عشر اخذ يُعدّ البراءة القاضية بالغاء طغمة يسوع فجمع من تاريخ الرهبنة ما استطاع من شكايات اعدائها والمنازعات الجارية بسببها فذكرها لا بصفة قاضٍ على صحّتها او فسادها وعلى غثّها او سمينها مع علمهِ اليقين بدفاع ١٩ حبرًا رومانيًا عن ابناء القديس اغناطيوس لكن بعجز دار لما حصل بسببها من الخلاف . وصدّر ذلك بمقدّمة مطوّلة يبيّن فيها انّ للاحبار الرومانيين السلطة على الغاء الرهبانيّات كما بإمكانهم انشاؤها ويضرب على هذه الحقيقة عدّة شواهد في فئات رهبانيّة الغاها الكرسيّ الرسولي بمجرّد امرهِ دون معارضة وختم ذلك بحكمهِ الفصل بالغاء الرهبانيّة جمعاء

وقد طال الزمان على انشاء هذه البراءة ستّة اشهر كاملة يحرّرها ابو المؤمنين ثمّ يعود فيحرّرها ويصلحها ويغيّرها وهو يريد ان يُسكت صوتَ ضميرهِ ويتخلّص من عَنَت الدول التي لم تزل تضغط عليهِ ضغطاً مرّاً وتستحثّهُ على ابراز حكمهِ فيقدّم

رجلاً ويؤخر أخرى كمن يشي مرغوماً الى هاوية يخاف السقوط في اعماقها

واذ تحقق في اواسط تموز انهُ لا مناص من تضحية الرهبانيَّة أقدم على العمل فأمضى حكمهُ في ٢٠ تموز ١٧٧٣ لا على صورة منشور (Bulle) كما كان ينتظر الملوك وهي صورة افخم واجل يكون مدارُها على المراسيم الخطيرة السموميَّة بل على صورة براءة (Bref) وهي صورة ادنى مدارها على الامور الخصوصيَّة القابلة الابرام والنقض . وبدء البراءة بهذه الالفاظ Dominus ac Redemptor

وكنَّا نودّ ان نعرّب هذه البراءة تعريباً متقناً فننشرها في المشرق لولا طولها البالغ نحو عشرين صفحة من صفحات المجلَّة . وفي مضمونها ما يدلُّ على رغبة الحبر الاعظم في اعادة السلام والمحبَّة للعالم الكاثوليكيّ وذلك «حتى لو اقتضى الامر بنقض وملاشاة اعزّ ما هو لديهِ وبفقدان ما سيوليهِ حزناً مرًّا واسفاً شديداً» وكفى بقولهِ هذا دلالةً على الغائهِ الرهبانيَّة مرغوماً . وهذا ما صرّح بهِ القديس الفونس ليغوري اكبر اساقفة عصرهِ ليمذرهُ قائلاً : «مسكين هو البابا فيا تُرى أكان يستطيع في تلك الاحوال الحرجة ان يقاوم الحاجات الدول الطالبة الغاء رهبانيَّة يسوع» . ومثلهُ قال المؤرخ اليسوعيّ الشهير الاب كوردارا «ان اكليمنضوس الرابع عشر رأى بعد حيرتهِ وتردّدهِ الطويل انهُ من الواجب عليهِ الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة . ولعلّي انا الذي أحبُّ طغمتي اشدّ الحبّ كنتُ حذوتُ حذوهُ لو كنتُ في مقامهِ . فانت الرهبانيَّة المنشأة والمثبتة لخير الكنيسة فقبلت الموت لتحصل الكنيسة على ذلك الخير وحقيقةً لا أدري أكان يمكنها ان تنال شرفاً اعظم من هذه الخاتمة الجليلة لحياتها»

لواحق حكم البابا بالغاء الرهبانيَّة

كانت الرهبانيَّة اليسوعيَّة قد عانت من الشدائد والآلام من قبل اعداء الكنيسة ما أذاق ابناءها الأمرّين لكنها صبرت على كل ذلك صبراً جميلاً يسندها في اوجاعها نظرُها الى صليب الربّ يسوع المنسوبة اليهِ . ومع هذا كانت بين آلامها فرحةً كرسل المسيح (اعمال ٥ : ٤١) : «الذين كانوا فرحين بانهم حُسبوا مستأهلين ان يُهانوا لاجل اسم يسوع» لكنَّ هذه الضربة الاخيرة من قبل رئيسهم الاسمى والاعزّ كانت اوجعَ وامرَّ من سواها فقبلوها من يدهِ صامتين قانتين ردلُوا بطاعتهم العجيبة وهم ينيفون وقتئذٍ على ٢٢٬٠٠٠ راهب على انَّهم يرضون بالموت من يد قائدهم ان اصاب

في موتهم الخير المأمول. وقد حُكم عليهم لا في محكمة حيث يتمكّنون من الدفاع عن نفسهم بل دون الرخصة بان يكتبوا شيئاً في هذه القضية. فماتوا مسلّمين امرهم الى الله فاحص القلوب مصرّحين باتهم ابرئا من الشكاوى الموجّهة اليهم

وبعد الاعلان بالبراءة أُقفلت اديرتهم واستُصفيت اموالهم وضُبطت مكاتبهم واوراقهم وتحريراتهم الخصوصيّة التي بعد فحصها المدقّق وُجدت كلها منزّهة عن كلّ ما يستوجب ملاماً وتفرّق رهبانهم فاصبح الكهنة منهم والمتّسمون بالدرجات الاكليريكية تحت رعاية اساقفتهم وأُعيد الآخرون الى مواطنهم واهلهم. أمّا الرئيس العام الاب لوران رتشي ومدبّروهُ فقادوهم الى حصن سنت انجلو فسكنوا في قلالي منفردة واستنطقوهم مراراً فلم يقفوا على امرٍ ما يَشينهم ويشين رهبانيّتهم بل استشهدوا الله على صلاحهم وصلاح طلعتهم. ومات الاب رتشي في تلك الاثناء. مكرّماً عند قبوله اسرار الكنيسة بازاء الدَّيان الذي كان على وشك الظهور امامهُ عن حسن سلوك رهبانيّته دون ان تحيد عن قوانينها ذرّةً. وهو الذي كان اجاب الحكومة الفرنسويّة سابقاً لمّا ارادت ان تغيّر شيئاً من رسوم القديس اغناطيوس بكلمة تاريخيّة تتناقلها كلّ التآليف «فلتكن كما هي او لا تكن» (Sint ut sunt aut non sint). وكانت وفاتهُ في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٧٧٥ بملء الهدوء والسلام

وكان سبقهُ الى الابديّة الحبر الاعظم اكليمنضوس الرابع عشر ولم يعش بعد اعلانه بالبراءة الملقية للرهبانيّة اليسوعيّة الّا اربعة عشر شهراً قضاها بالقلق والجزع واضطراب العقل وهو يردّد قولهُ: قد فعلتُ مكرهاً (compulsus feci) فمات في ٢٢ ايلول ١٧٧٤ وقد انعم الله عليه عند وفاته بان حضر لمساعدته عند الموت القديس الفونس دي ليغوري فريد عصره علماً وقداسةً فاعدّهُ لاستقبال خالقه. وممّا يُخبر انهُ قبل وفاته سلّم الى مرشده الروحي رقيماً استدرك فيه ما كتبهُ في براءته واوصاهُ بان يسلّمهُ لخلفه. وقد طُبع الرقيم المذكور لاوّل مرّة في سويسرة في مدينة زوريخ سنة ١٧٨٩ طبعهُ المؤرخ بيار فيليب وُلف ثمّ تكرّر طبعهُ دون ان يتكرّه البابا بيوس السادس خلف اكليمنضوس

وكان البابا موعوداً بان يُعاد الصلح للكنيسة بالغاء الرهبانيّة اليسوعيّة وتعيش الدول بالسلام مع الكرسيّ الرسولي فكانت تلك المواعيد عرقوبيّة. وانّما جاهر

فقط اعداء الكنيسة بفرحهم لسقوط فرقة يسوع التي كانت اكبر حاجز يمنعهم عن تنفيذ مآربهم الباطلة

بيد انهم كانوا موقنين انَّ البابا يقبح اعمال اليسوعيين في براءته ويفتي ببأسهم وسوء تعاليمهم فخاب أمالهم . وقد اقرَّ بذلك المؤرخ البروتستاني بشلّ قائلًا : « انَّ البراءة لا تقضي على تعاليم اليسوعيين ولا على عوائدهم ولا على تهذيباتهم انَّما الاسباب الوحيدة المرقومة فيها التي اوجبت الغاء طائفتهم هي الشكايات الصادرة بحقهم من الدول . وقد برَّر البابا الطريقة التي سلكها باستنادهِ الى امثلة اسلافهِ الذين ألغوا بعض الرهبانيَّات ليوافقوا مقتضيات الرأي العام »

وذلك كان السبب من نفور مجالس الندوة في فرنسة وعدم رضى اصحابها بتسجيل براءة الحبر الاعظم الملغية للرهبنة بل منعت من نشرها واستقبحت اعتدال منطوقها اذ ان البابا على قولهم « امر بالغاء الرهبانيَّة دون ان يقضي على تعاليمها ولا على اعمالها » وفي هذا دليل قاطع على انَّ اكليمنضوس الرابع عشر لم يحكم على اليسوعيين بل ابطل رهبانيَّتهم لمجرَّد مقتضى الظروف والاحوال

امَّا ما حدث بعد الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة من الفتن والثورات وانقلاب دول البوربون ظهرًا لبطن في الثورة الفرنسويَّة الكبرى واضطهاد الحبر الاعظم بيوس السادس وخلفهِ بيوس السابع فكلُّ ذلك كان من اخصّ اسبابهِ نفي طغمة يسوع التي لم تعد الشبيبة في معظم البلاد تتخرَّج في مدارسها . فتفاقم الصدع واستشرى الفساد

ودونك ما كتبهُ الى البابا اكليمنضوس الرابع عشر رئيس اساقفة باريس بطل الدين كريستوف دي بومنت بعد اعلانهِ البراءة بزمن قليل :

أيُّها الاب الاقدس انَّ السلام الذي يمدنا به اعداء الدين بالغاء جمعيَّة يسوع ليس هو السلام الذي اتى به السيد المسيح وانَّما هو سلام كاذب سلام الخبث والمكر والخلاعة الذي قال فيه ارميا النبي (٦ : ١٤) : ٥ يصرخ الاشرار : السلام السلام وليس سلام » هو السلام الذي وذلهُ السيد المسيح وعارضتهُ جمعيَّة يسوع وتفانت في مناصبتهِ حتَّى الموت ولذلك تقوم عليها الاشرار فبسقوطها تنال الكنيسة حقًّا مرَّة »

ومن ثمَّ ما كاد بيوس السادس يخلف اكليمنضوس حتى فكَّر في ردّ الرهبنة الى مقامها واستشار في ذلك الكرادلة فسمع غير واحد منهم يحرّضهُ على تحقيق نيَّتهِ

واخصّهم الكردينال ليونردو انطونلّي الذي رافق بعد ذلك بيوس السابع وحُبس معهُ في فونتينبلو فقال :

« انّ ما فعلهُ سلفُكَ قد جرى بضغط الملوك على رئيس الكنيسة ومن ثمَّ لا قوّة لبراءته التي نشرها مرغوماً دون حرّيّة كافية وانا أعُدُّ الرهبانية اليسوعيّة غير ملغاة فيكفي قداستك ان تُعلن بالامر . . . فلسوء انّ رهبانيّة يسوع افضل جماعة في عصرنا الشرّير ولو عُدمت لوجب إحياؤها . ونحن اليوم لخدمة الكنيسة احوجُ اليها من يوم انشأها اقديس اغناطيوس فاتحا اذ ذاك ناصيت البدع البروتستانيّة وكسبت شكر الكنيسة المخلّد اما اليوم وقد تفاقم شرّ اعداء الدين فاننا لا نستغني عنها لتقوم في وجه الملحدين وسائر الاشرار »

فكان جواب الحبر الاعظم لهذا التصريح بقوله :

« انّ إلغاء الرهبانيّة اليسوعيّة انّما كان سرّاً من الجور والطغيان وانّ رغبتي الشديدة أن أعيدها الى الحياة »

لكنّ السرّ وموتهُ حالا دون رغائبهِ . ومما كتبهُ في ذلك المؤرخ البروتستانيّ الالماني رَنك (Ranke) في تاريخ البابويّة (ج ٤ ص ٥٠٠) :

« انّ الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة قوّض اركان العالم الكاثوليكي كله اذ دهمتهُ تلك الضربة القاضية من كَثَب دون ان يستعدّ للاقاتها لاهتمام اليسوعيين بتهذيب الشيبة في كلّ البلاد فبهلاكهم اصبحت الناشئة عرضاً لكل المفاسد وترعزعت دعائم المجتمع الانساني »

ولما أرسل الكردينال باكّا الى المانية بصفة قاصد رسوليّ كتب الى الحبر الاعظم بيوس السابع ما تعريبهُ :

« منذ الغاء اليسوعيين فقدَ الالمان اكرامهم القديم لرؤسائهم الروحيين وللكرسيّ الرسولي لان اولئك الرهبان كانوا يحدّبون الاحداث في مدارسهم العديدة فيضرون بذلك حدوداً للكفر ولكن منذ سقوط رهبانيّتهم انفجر السدّ وطغى طوفان الكفر وانتشرت الجمعيّات السرية (الفرمسون) والمطبوعات الفاسدة فأصيبت الكنيسة بنكبة عظيمة »

ومثلهُ قال البرنس دي ليني سنة ١٨٠٨ :

« انّ الشرور العظيمة التي نراها في زماننا من نبذ الطاعة للرؤساء ومن روح الخلاعة والفساد لما كانت تسود فتهدّد بسيلها الجارف كلّ ممالك اوربّة لو بقيت في الحياة الرهبانيّة اليسوعيّة »

فاتفاق كلّ هؤلاء على تشخيص الداء الذي اصاب المجتمع الانساني لأدلّ

دليل على ما ابقتهُ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في القلوب من الاعتبار والاكرام وعلى انَّ الغاءها لم يكن عن ذنب اقترفتهُ بل عالهُ بغضُ الاشرار والملحدين . ولذلك سمح البابا اكليمنضوس عينهُ سرًّا للملكة روسيَّة كاترين الثانية بان تبقي اليسوعيين في مملكتها . ثم كرَّر تلك الاجازة خلفهُ بيوس السادس . ثمَّ قام بيوس السابع وما كاد ينجو من مخالب نابوليون الاوَّل وسجنهِ ويعود الى عاصمتهِ رومية ظافرًا حتى بعث الرهبانيَّة اليسوعيَّة من رقدتها في العالم كلهِ وردَّ لها كلَّ خواصها وانعاماتها ورسومها كما كانت قبل الغائها وذلك في ٨ آب من السنة ١٨١٤ وقد خصَّت مجلَّة المشرق (١٧ [١٩١٤]: ٤٨١—٤٩٥) مقالةً نفيسة لتذكار سنة المئة لذلك الانبعاث دبَّجها قلم رصيفنا المرحوم الاب لويس رنوڤال فللمراجع

ويكفينا في الختام ان نستحلف كلَّ قرَّائنا ونسألهم أيرون في الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة بمساعي الملحدين واعداء الدين والتمدُّن الصحيح عارًا ما لحق بها كما زعم كاتب الحريَّة واشياع الماسونيَّة او ليس الاولى بابناء اغناطيوس ان يفتخروا بذلك المصاب وان يثني عليهم كلُّ ذوي الصلاح والبرّ كما يُثنَى على من سقطوا في ساحة الشرف . هذا ومعاذ الله ان ننسب الينا فخرًا ما وانَّما المجد يحقُّ فقط لذاك الذي يحطّ ويرفع ويُميت ويحيي تمجَّد اسمهُ الى ابد الدهور

ملحق

﴿الجنون فنون﴾ انَّ لجبران التويني في كتاباته البذيَّة عن اليسوعيين طرائق من الجهل والغباوة توقعنا في الريب عن صحَّة عقلهِ فلا يقرأها عاقل الَّا يقول «الجنون فنون» فانَّهُ كتب عن الاب غوري ولاهوتهِ الادبي الذي هو في موضع الاعجاب لكل من يدرسهُ كاعمى يكتب عن الالوان وهو لا يعرف لا من هو الاب غوري ولا ما كتب ولا يحسن التمييز بين الالف والباء من اللاهوت الادبيّ وبدلًا من ان ينقل نصوصهُ من الطبعة البيروتيَّة التي عرَّبها الطيِّب الذكر المطران يوحنا حبيب فنشرها في المطبعة الارثونيَّة في مجلَّدين نقل ما نقل عن كتب الترمسون (وكلُّ طائر يأوي الى جنسهِ) الذين شوَّهوا كتابات الاب غوري ونسبوا اليهِ تعاليم فاسدة لم تخطر على بال احد من الكاثوليك فلم يستحي ان يعرض على اهل بلادنا مثل هذه البضاعة

الكاسدة المحيكة بلُحتها وسداها في المعامل الماسونيَّة — واغربُ من ذلك « القسم اليسوعي » الذي كلّ حرفٍ من حروفهِ كذبٌ وتلفيق كأنَّ اليسوعيين يجزون نذورهم بالخفية مثل الفرمسون وليس في كنائسهم امام جمهور المؤمنين وشهود علمانيين يحضرون رسميًّا تلك الحفلة . فيا لله حتَّى متى والى متى يكذب الفرمسون وكيف يعميهم الهوى فلا يرون انَّ العموم يسخرون منهم ويلعنون شيعتهم

المقامة الاورشليمية

لاحد تلامذة البيان في كليتنا

توطئة

إذ كنتُ في سنتي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ ادرّس البيان والبلاغة في كليّة القديس يوسف كان في حلقة تلاميذي المسيحيُّ والمسلم والدرزي . ومعظمهم إن لم اقل كلّهم كانوا عاكفين على درس اللغة العربية مجتهدين في اكتساب آدابها . وخدمةً لهم اخترتُ وجمعتُ « رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني » . وذلك رغبةً في تمرينهم على سكب عباراتهم في قوالب بليغة

وكنتُ أحرص على صيانة ما يكتبونه من رواية او خطبة او مقابلة او انتقاد او قصيدة او مقالة . فابرز منهم كنت أطلعه على ما حسُن او نقص في ما كتبهُ فيصلحهُ ثمَّ أدّخر لديَّ في حفظةٍ ما يُفظهُ . فجمعتُ من هذه الطُّرَف عددًا ليس بيسير . وأريتُ بعضها تلاميذي بعد خروجهم من الكلية . فسرّوا ايَّ سرور اذ رأوا ما كتبوه في سني حداثتهم وصبام

وقد رأيت اليوم بمناسبة عيد انتقال مريم العذراء الى السماء ان انشر في المشرق انشاء لاحدهم عنوانه «المقامة الاورشليمية» وكان من نُجُب الطلّاب الذين يُسرّ بهم اساتذتهم وتفتخر بهم مدرستهم وقد اثبتنا كتابهُ بحرفهِ الواحد . وكان موضوع المقامة ما يُروى عن ديونيسيوس الاريوباجيّ تلميذ بولس الرسول انهُ اجتمع بمريم العذراء قبل انتقالها الى السماء فوصف ما شاهدهُ من بدائع صفاتها وكمالها

الاب انطون صالحاني